جامعة تربيت معلم طهران
كلية الآداب و العلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية و آدابها

رسالة أُعدت لنيل درجة الماجستير

العنوان :
الاتّجاه القوميّ و الوطنيّ في شعر محمّد مهدي الجواهري

الأستاذة المشرفة :
الدكتورة سودابه مظفّري

الأستاذ المشرف المساعد :
الدكتور حسين أبويساني

الطالب :
يحيى فكري

الفصل الدراسي :
٨٩ ــ ١٣٨٨ هـ . ش

بسم الله
الرحمن
الرحيم

إهداء :

إلى أبي و أمّي الكادحينِ

و زوجتي الفاضلة

و إلى :

الأساتذة الكرام الدكتور صدقي

و الدكتورة مظفري

و الدكتور أبويساني

حفظهم الله تعالى

عرفاناً بفضلهم عليَّ

يحيى فكري

فهـــرس المحتويات

المقدمة ..... أ

الفصل الأوّل : **الالتزام و الاتّجاه القوميّ و الوطنيّ في الأدب العربيّ القديم و المعاصر**

١ـ١ الالتزام لغة و اصطلاحاً ٢

١ـ٢ الالتزام فى الأدب العربى ٣

١ـ٣ بداية حركة القوميّة العربيّة ١١

١ـ٤ النّزعة القوميّة العربيّة فى عصر النّهضة و العصر الحديث ١٢

١ـ٥ النزعة القوميّة فى الأدب المهجرى (المهاجَر) ١٥

١ـ٦ موضوعات الشّعر القومىّ ١٧

١ـ٦ـ١ مناضلة الاستعمار و الاحتلال ١٧

١ـ٦ـ٢ التّنديد بالاستبداد و فساد الحكم ١٩

١ـ٦ـ٣ التّضامن و الإخاء ١٩

١ـ٧ الاتّجاه القومىّ لغة و إصطلاحاً ٢١

١ـ٨ الاتّجاه الوطنىّ، لغةً و اصطلاحاً..... ٢٢

١ـ٩ الاتّجاه الوطنىّ ٢٣

١ـ ١٠الحنين إلى الوطن فى الأدب العربىّ القديم ٢٤

١ـ١١ الحنين إلى الوطن فى الأدب العربىّ الحديث ٢٥

الفصل الثاني :**شخصية الجواهري، آثاره و خصائص شعره**

٢ـ١ مولده و نشأته ٣١

٢ـ٢ تعليمه و قراءته ٣٢

٢ـ٣ سماته الشّخصيّة..... ٣٧

٢ـ٤ زواجه ٤٠

٢ـ٥ وفاته و مدفنه ٤٢

٢ـ٦ آثاره و مؤلفاته ٤٢
٢ـ٦ـ١ آثاره المنظومة ٤٣
٢ـ٦ـ٢ الآثار المنثورة ٤٤
٢ـ٧ شاعريّته ٤٥
٢ـ٨ مشاركته فى المهرجانات ٥٠
٢ـ٩ الجواهرى و أغراضه الشّعرية ٥٦
٢ـ ١٠الشّعر السّياسىّ ٦١
٢ـ ١١ الغزل ٦٣
٢ـ ١٢ أهمّ ميزات شعر الجواهرى ٦٦
٢ـ ١٣ مدرسة الجواهرى الشّعريّة ٦٨

الفصل الثالث : **القوميّة و الوطنيّة في أشعار الجواهري**

٣ـ١ الاتّجاه القومى فى شعر محمّد مهدى الجواهرى ٧١
٣ـ٢ القضيّة الفلسطينيّة فى شعر الجواهرى ٧٣
٣ـ٣ العروبة و الاعتزاز بها فى قصائده ٨٥
٣ـ٤ الجواهرى و التّضامن و الإخاء ٩٤
٣ـ٥ الجواهرى و تكريم شهداء القوميين ١٠١
٣ـ٦ الاتّجاه الوطنى فى شعر محمّد مهدى الجواهرى ١٠٧
٣ـ٦ـ١ النّضال ضد الاستعمار البريطانىّ ١٠٧
٣ـ٧ الغربة و الحنين إلى الوطن فى شعر الجواهرى ١١٥
٣ـ٧ـ١ الغربة ١١٥
٣ـ٧ـ٢ الحنين إلى الوطن ١٢٠
٣ـ٨ بغداد فى شعر الجواهرى ١٢٧
٣ـ٩ دجلة فى شعر الجواهرى ١٢٨

۳ـ۱۰ الأكراد فی شعر الجواهری ۱۳۲
۳ـ۱۱ موقف الجواهری من الزّعماء و الثّورات فی العراق ۱۳۸
۳ـ۱۱ـ۱ موقفه من الملک فیصل الأول ۱۳۹
۳ـ۱۱ـ۲ موقفه من انقلاب بکر صدقی ۱۴۱
۳ـ۱۱ـ۳ موقفه من «الملک عبدالاله» ۱۴۲
۳ـ۱۱ـ۴ موقفه من «حرکة الکیلانی» ۱۴۳
۳ـ۱۱ـ۵ موقفه من عبدالکریم قاسم ۱۴۴
۳ـ۱۱ـ۶ موقفه من حزب البعث الفاشل..... ۱۴۵
الخاتمة ۱۴۷
ملخّص الرّسالة بالفارسیّة ۱۴۸
المصادر و المراجع ۱۵۷
ملخّص البحث بالإنجلیزیة ۱۶۴
الملاحق ۱۶۵

چکیده‌ی فارسی :

اشعار ملّی (قومی) و میهنی (وطنی) در شعر عربی معاصر به شکل خاص پس از استقلال کشورهای عربی از دست قدرت‌های استعمارگر آشکار شد به گونه‌ای که مسأله‌ی میهن و دفاع و عشق و ابراز علاقه به آن از مهم‌ترین مفاهیم شعری نزد شاعران معاصر گردید.

محمّد مهدی جواهری از جمله شاعران نامی عراق است. او با درک مسائلی که عراق و جهان عرب با آن درگیر بود، بخش قابل توجّهی از اشعارش را به مسائلی همچون قیمومیّت، استقلال عراق، عشق به وطن و غربت و دوری از وطن، افتخار به قومیّت عربی، دفاع از قضیه‌ی فلسطین و فراخواندن ملّت عرب به اتحاد و یکپارچگی در مبارزه با استعمار و صهیونیزم اختصاص داد. در واقع اهتمام جواهری به مسائل ملّی و میهنی بسیار بود تا آنجا که تقریباً ۵۰ قصیده را به مضامین قومی و دو برابر آن را به مفاهیم میهنی در دیوان‌هایش اختصاص داده است.

کلید واژه : التزام و تعهد، شعر ملّی (قومی)، شعر میهنی (وطنی)، محمد مهدی جواهری، عراق، فلسطین.

ملخّص البحث بالعربيّة :

ظهرت الأشعار القوميّة و الوطنيّة في الشّعر العربيّ المعاصر بشكل خاصّ بعد استقلال البلاد العربيّة من أيدي القوى الاستعماريّة حيث أصبحت معالجة موضوع الوطن و الدّفاع عنه و إظهار الحبّ و الحنين إليه من أهمّ مضامين الشّعر عند الشّعراء المعاصرين.

إنّ «محمّد مهدي الجواهريّ» (١٩٠٠ـ١٩٩٧م) من أبرز روّاد الشّعر القوميّ و الوطنيّ في العراق، حيث قام من خلال عرضه و دراسته للمشاكل السّياسيّة و الاجتماعيّة للمجتمع العراقي بعرض المسائل القوميّة للأمّة العربيّة الممزّقة و عرض حلول لهذه المسائل.

ثورة العشرين و الانتداب و استقلال العراق و نكبة فلسطين منها :

كذلك في إطار حبّ الوطن و قوميّة العرب يعتبر من الّذين ينادون إلى الوحدة القوميّة بين أبناء الضّاد ضدّ الاستعمار و الصّهاينة.

إنّ اهتمام الجواهري بالوطن و القوميّة أدّى به إلى أن يقُومَ بتخصيص حوالَي خمسين قصيدة للمضامين القوميّة و ضعفها للمضامين الوطنيّة في دواوينه.

الكلمات الرئيسيّة : الالتزام، الشّعر القوميّ و الوطنيّ، محمّد مهدي الجواهري، العراق، فلسطين.

المقدّمة :

الحمد لله الّذي خلق الإنسان و علّمه البيان، و الصّلاة و السّلام على النبيّ المصطفى محمّد و آله و صحبه أجمعين.

أمّا بعد :

إنّ الشّعر القوميّ و الوطنيّ من أهمّ جوانب الشّعر الملتزم. فإنّ الشعراء منذ أقدم العصور عبّروا عمّا تعانيه شعوبهم و أوطانهم و قد كانوا منذ العصر الجاهلي ملتزمين بالدّفاع عن قبيلتهم و الاعتزاز بأمجادها فكانوا النّاطقين باسم القبيلة و المدافعين لها فلمّا ظهر الإسلام قام الشّعراء ينافحون عنه و عن النبيّ ﷺ.

و في العصر الأموي ظهر الشّعر السّياسيّ أو الحزبيّ، و في العصر العبّاسيّ أبرز سمات الالتزام و الدّفاع عن القوميّة العربيّة و العروبة الصّراع ضدّ الشعوبيّة الّتي كانت تقوم على مفاخرة سمات الشّعوب الأعجميّة للعرب و في العصر الوسيط ظهر عند الشّعراء ميل إلى مدح الرّسول و تجلّى هذا الميل في المدائح النّبويّة الّتي كانت تعبيراً عن العواطف الدينيّة و الالتزام بها.

و في عصر النّهضة و الحديث قام الشّعراء و الأدباء بمسألة الحريّة داعين إلى القوميّة. إنّ الشّعراء في أشعارهم القوميّة يعبّرون عن الهموم الّتي يعانيها العرب و ما يجري على الأمّة العربيّة كنكسة فلسطين و الصّراع ضدّ الصّهاينة و الاستعمار كذلك يشيدون بشهداء القوميّة العربيّة و يعتزّون ببطولاتهم و أمجادهم و يعتبرون أنفسهم من بلد واحد فيفتخرون بعروبتهم و يؤكّدون على الوحدة العربيّة لتحقيق التّنمية و العدالة و القضاء على الاستغلال و الاحتلال.

تتجلّى النّزعة القوميّة العربيّة عند شعراء المهاجر و تقوم نزعتهم بإنهاض أمّتهم و

تحريضها إلى الثّورة على من يفرض عليها الهوان.

إنّ الشّعر الوطنيّ هو صورة المواطنين و تعبير عن أمانيهم و أحلامهم؛ إنّ الوطن عزيز على أنفس الشّعراء، و هناك شعراء كثيرون يتغنّون بحبّ الوطن و يعبّرون عن الشّوق و الحنين إليه. يتجلّى الحنين إلى الوطن في العصر الجاهلي في البكاء على الأطلال و الشّوق إلى منازل الحبيبة و رسومها، كذلك في العصر الإسلامي و الأموي و العبّاسي و الوسيط و النّهضة.

في الحقيقة ظهرت الأشعار القوميّة و الوطنيّة في الشّعر العربيّ المعاصر خاصّةً بعد استقلال البلاد العربيّة من أيدي القوى الاستعماريّة حيث أصبحت معالجة قضيّة الوطن و الحبّ و الحنين إليه من أهمّ المضامين الشعريّة عند الشّعراء المعاصرين.

من أبرز المعاصرين الّذين اهتمّوا بالقوميّة و الوطنيّة في أشعارهم هو «محمّدمهدي الجواهري» (١٩٠٠ ـ ١٩٩٧م) الّذي كان شديد الحبّ بوطنه العراق كثير العصبيّة و الغيرة له، شعره مرآةٌ للوثبات و الانتفاضات في العراق و سجلاً لبطولات الشّعب. هو الّذي يعبّر شعره عن أحاسيس الشّعب العراقي بكل مكوّناته و يعكس شعره الحياة السّياسيّة و الحزبيّة أكثر من أيّ شاعر عراقيّ معاصرٍ. فضلاً عن ذلك يُعتبَر الجواهري من أشهر الشّعراء المعاصرين في الوطن العربيّ و أكثرهم نظماً في الشّعر السّياسيّ، حيث قام من خلال عرضه للمشاكل السّياسيّة و الاجتماعية بعرض المسائل القوميّة للأمّة العربيّة الممزّقة.

إنّ الاحتلال البريطانيّ و ثورة العراق و نكبة فلسطين و ... كلّ هذه الأحداث ممّا عاشها الشاعر و لم يقف فيها موقف الشّاهد المتفرّج، بل عالجها في قصائده القوميّة و الوطنيّة. إنَّ

الجواهري من الّذين ينادون إلى الوحدة القوميّة بين العرب ضدّ الاستعمار و الصّهيونيّة كما أنّ اهتمامه بقضيّة الوطنيّة و القوميّة أدّى به إلى قيامه بتخصيص قسم كبير من ديوانه بهذه القضيّة و المواضيع المنوطة بها عند العرب.

ملخّص الكلام، كان الجواهري أكثر خوضاً في المعارك الوطنيّة كما كان يحرّض النّاس على الثّورة ضدّ الحكّام الجائرين و الفاسدين و يدافع عن المظلومين و المحرومين دائماً.

يستهدف هذا البحث إلى دراسة الشّعر الوطنيّ و القوميّ و نبذة عن حياة «محمّد مهديّ الجواهريّ» و ثقافته و أشعاره القوميّة و الوطنيّة.

و فيما يخصّ الكتب الّتي اختصّت كلّ فصولها على دراسة حياة و شعر الجواهري فهناك كتاب عبدالله الجبوري «الجواهري و نقد جوهرته» و هو دراسة موجزة عن حياة الجواهري و شعره، كتاب د. سليمان جبران «مجمع الأضداد» فقد قام المؤلّف فيه بتحليل سيرة الجواهري و نقد أدبي لشعره و كتاب «أزمة المواطنة في شعر الجواهري» لفرحان اليحيى ارتكز المؤلف على أبعاد و جذور الأزمة في أشعاره السّياسيّة و الاجتماعية و الوطنيّة و القوميّة، دراسة عبدالحسين شعبان و هي «جدل الشّعر و الحياة» عالجت التّحليل العميق لأحداث حياة الجواهري و شرح بعض قصائده، أمّا دراسة حسن العلوي الهامّة عنوانها «الجواهري ديوان العصر» فقد قام المؤلّف بتحليل و تعديد قصائد الشّاعر الّتي أنشدها في أحداث الوطن الصغير (العراق) و الوطن الكبير (البلاد العربيّة)، هناك في إيران رسائل جامعيّة باللّغتين : الفارسية و العربيّة بناءً على ما اطّلعت عليها :

١ـ أطروحة الدكتوراه، للسيّدة الدكتورة مظفري تحت عنوان «نوآورى هاى محمد مهدى جواهرى در شعر معاصر عربى» في جامعة طهران.

٢ـ رسالة الماجيستر للسيّد اعتمادي تحت عنوان «محمّد مهدي جواهري حياته و أسلوبه الشّعري و خلفيّته الثّقافيّة» في جامعة رازي.

٣ـ رسالة الماجستير للسيد أصلاني تحت عنوان «الجواهري و الشّعر السياسيّ» بجامعة كردستان.

أمّا هناك دراسات و كتب أخرى ألّفت في حياة الجواهري و شعره دون معالجة شعره القوميّ و الوطنيّ، مستقلةً و محيطةً بجوانب البحث، بل تطرّق المؤلّفون فيها إلى حياة الشّاعر و دراسة أغراضه الشّعريّة موجزاً.

إنّ هذا البحث يقوم بدراسة قضيّة الالتزام في الشّعر العربيّ عامّاً ثمّ الشّعر القوميّ و الشّعر الوطنيّ خاصّاً، فيخرج إلى دراسة الشّعر القوميّ و الوطنيّ عند محمّد مهدي الجواهريّ بشكل مستقلّ.

هذا و إنّنا لا نريد أن نقلّل أهميّة تلك الدّراسات و إنّما يأتي هذا البحث استكمالاً لتلك الدّراسات و الإجابة عن الأسئلة التالية:

١ـ ما هي مكانة الشّعر القوميّ و الوطنيّ عند محمّد مهديّ الجواهريّ؟

٢ـ ما هي أهمّ مواضيع (معايير) أشعار الجواهريّ القوميّة و الوطنيّة؟

٣ـ ما هي مدرسة الجواهريّ الشعريّة الّتي تنتمي إليها أشعاره القوميّة و الوطنيّة؟

٤ـ ما هي أهمّ الميزات الشّعرية عند الجواهريّ؟

هذا البحث قائم على أسلوب توصيفيّ و تحليليّ (الوصف و التّحليل) بالمراجعة إلى المكتبات و التّفحّص من المصادر و المراجع الموجودة. نظراً إلى أنّ الجواهريّ شاعر ثوريّ متمرّد صارم لا يساوم مع أيّ نظام ظالم على الشّعب، و بسبب أنشطته السياسيّة و المتعدّدة

اِنطبع أكثر شعره بالطّابع السّياسيّ، و نتيجة لتأثّره و اهتمامه بالقضايا القوميّة و لا سيّما القضيّة الفلسطينيّة، فإنّ للشّعر القوميّ و الوطنيّ مكانة بارزة ضمن مجموعته الشّعريّة الكاملة.

أهمّ المواضيع الّتي تناولتها أشعار الجواهريّ القوميّة و الوطنيّة، الصّراع ضدّ الاستعمار، حبّ الوطن و الحنين إليه، الحريّة، الدّفاع عن الوحدة العربيّة و القضيّة الفلسطينيّة.

نظراً لأهمّ ميزات المذهب الواقعي، و هو معالجة الوطن و الحنين إليه و الدّفاع عن كيانه و عرض الوقائع الموجودة في المجتمع، يمكن القول بأنّ أشعار الجواهريّ الوطنيّة رغم أنّها منطبعة بطابع المذهب الكلاسيكيّ الجديد، تتجلّى في إطار المذهب الواقعيّ.

إعجابي بشخصيّة الجواهري و شهرته و أشعاره الرّائعة و حياته النّضاليّة و نزعته القوميّة و الوطنيّة و الإنسانيّة دعاني إلى كتابة هذه الرّسالة بعد قراءة الكتب و إرشادات الأساتذة الكرام. قد قسّمت الرّسالة على ثلاثة فصول :

عالج الفصل الأوّل قضيّة الالتزام و الاتّجاه القوميّ و الوطنيّ لغةً و اصطلاحاً حيث أتينا بالالتزام القوميّ و الوطنيّ من العصر الجاهلي إلى الحديث،

الفصل الثّاني مختصّ بحياة الشاعر باعتبار «أنّ الشّاعر إبن بيئته» و أنّ الجواهريّ أكبر من الدولة العراقيّة، فإذن حياته منبعاً هادياً إلى التّعرّف على القضايا القوميّة و الوطنيّة.

اختصّ الفصل الثّالث بدارسة المضامين القوميّة و الوطنيّة في أشعار الجواهري. ثمّ خاتمة موجزة عن فحوى هذه الدّراسة و مكانة الالتزام و الاتّجاه في الأدب العربيّ لا سيّما الاتّجاه القوميّ و الوطنيّ في شعر الجواهري.

قد واجهتني في دراستي هذه صعوبات عدّة في إعداد المراجع، فهذه المشاكل دفعتني أن

أتجوّل في الجامعات و المكتبات في طهران و قم و سنندج و كرمانشاه و بعض مدن أخرى في البلاد في سبيل إعداد المراجع ثمَّ أقبلت على الإنترنت و انغمست في مياهه الصّاخبة باحثاً عن المصادر و المراجع و في نهاية المطاف و بعد جهد مضن وجدت مقالات عدّة عن الشّاعر، من أهمّ هذه المصادر إضافة على أعمال الشّاعر هي :

١ـ الجواهري، ديوان العصر، لـ «حسن العلوي»؛

٢ـ الجواهري، رؤية غير سياسيّة، لـ «حسن العلوي»؛

٣ـ الجواهري، ذكريات أيّامي، لـ «فاروق البقيلي»؛

٤ـ الجواهري، شاعر من القرن العشرين، لـ «د. جليل العطية»؛

٥ـ الجواهري شاعر العربيّة، لـ «عبدالكريم الدّجيلي»؛

٦ـ الجواهري مسيرة قرن، لـ «د. خيال محمد مهدي الجواهري»؛

٧ـ الجواهري آخر الفحول، لـ «محمّد عبدالعزيز الموافي»؛

٨ـ المواقع الإنترنتية.

أخيراً أغتنم الفرصة السّانحة لأتقدّم بجزيل الشّكر و تقديري للأستاذة الدّكتورة سودابه مظفّري لقبولها الإشراف على هذه الرّسالة و مساعدتها و دعمها لي في كلّ المراحل، كما أتقدّم بخالص الشّكر و العرفان للأستاذ الدّكتور حسين أبويساني الّذي ساهمني بجهده في قراءة هذا البحث و ساعدني بملاحظاته الدّقيقة في إنجازه و كما أتقدّم بجزيل شكري و امتناني لكلّ الأساتذة الكرام في جامعتنا، خصوصاً فضيلة السّيد الدّكتور صدقي مدير قسم اللّغة العربيّة و آدابها في جامعة تربيت معلّم طهران لدعمه و إرشاداته القيّمة و أيضاً الأصدقاء الأعزّاء الّذين ساهموا في إنجاز هذه الدّراسة.

في نهاية المطاف أعترف بأنّ هذه الرّسالة ليست إلاّ جهداً يسيراً في موضوع هامّ و جليل في الأدب العربيّ و يعتريها النقصان و الأخطاء و أنا في بداية الطّريق في مجال العلم و الأدب أرجو من الله التوفيق و السّداد و الحمد لله أولاً و آخراً.

الفصل الأوّل :

الالتزام و الاتّجاه القوميّ و الوطنيّ في الأدب العربيّ القديم و المعاصر

١ـ١ الالتزام لغة و اصطلاحاً

لغةً : كلمة «الالتزام» مأخوذة من مادّة «لزم» و قد وردت في لسان العرب : لزم الشّيء يلزمه لزماً و لزوماً و لازمه ملازمة و لزاماً و التزمه و ألزمه إياه فالتزمه و «الالتزام» بمعنى «الاعتناق» و إلتزم العمل و المال : أوجبه على نفسه.[١]

قد وردت مادّة «لزم» في القرآن، يقول : ﴿ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامٗا﴾[٢] أي : لا يبالي ربّي لولا عبادتكم له تعالى، فقد كذّبتم فيكون جزاء تكذيبكم عذاباً دائماً ملازماً لكم. قال الله تعالى أيضاً : ﴿ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَا﴾[٣]

اِصطلاحاً : «الالتزام» نوع من التّعاقد أو الارتباط بشيء خارج عن الذّات أو هو «حزم الأمر على الوقوف بجانب قضيّة سياسيّة أو اجتماعيّة، أو الانتقال من التّأييد الدّاخليّ إلى التّعبير الخارجيّ»[٤].

«هذه الكلمة قديمة في الاستعمال اللّغويّ، لكن التّطوّر الفكريّ الحديث قد أفاض عليها معنى جديداً و هي أكثر ما تطلق اليوم في معرض الكلام على الفكر و الأدب و الفنّ، و إنّما يقوم الالتزام في الدّرجة الأولى على الموقف الّذي يتّخذه المفكّر أو الأديب فيها؛ فالالتزام هو حريّة الاختيار»[٥].

فكرة الالتزام لم تؤدّ مفهوماً حقيقيّاً واضحاً و محدوداً في أذهان دارسيه، فهي عندهم مزيج من السّياسة و الاجتماع و المفاهيم القوميّة و الوطنيّة و الدّوليّة و مبادئ الصّراع و

١ـ ابن منظور : لسان العرب، مادّة لزم، دار صادر، بيروت، ١٩٥٦ م، ج١٢ صص ٥٤١ ـ ٥٤٢.

٢ـ القرآن الكريم، فرقان/ ٧٧.

٣ـ القرآن الكريم، الفتح/ ٢٦ .

٤ـ رجاء، عيد : فلسفة الالتزام، دار الثقافة، د.ط، د ت.

٥ـ أحمد، أبوحاقة: الالتزام في الشعر العربي، دار العلم للملايين، ١٩٧٩ م، ص ١٢ـ١٤.

الثَّورة فإنّها ثورة في السيّاسة و المجتمع.

فعلى ذلك يصبح الشّعر الوطنيّ و القوميّ و الدّينيّ جوانب من الرّسالة الملتزمة للشّعر الّذي هو التّعبير الصّادق عن الانفعال الّذي يعتبر سمة الشّعر.

هناك فرق بين الالتزام و الإلزام، فالالتزام هو «التعلّق بالشيء و المداومة عليه و عدم مفارقته، أمّا الإلزام فقد يكون فيه المداومة على الشّيء و عدم مفارقته، و لكن يصحب ذلك في الغالب إكراهً و تبكيتاً و لهذا لا يكون لدى الشّخص الـملزم تعلّق بما ألزم به و لا رغبة فيه»[1].

فإنّ الأديب الملتزم يقوم على المبادرة الذاتيّة الحرّة عن وعي دون إكراه، و لكنّ الأديب الملزم يقوم غالباً على الأمر كراهةً، إمّا عن الترغيب أو الترهيب، خوفاً و رجاءً. أما الالتزام في الاصطلاح الأدبي هو «أن يلتزم الأديب في أعماله الأدبيّة عقيدة من العقائد أو مبدأ من المباديء أو فلسفة من الفلسفات»[2].

١ـ٢ الالتزام في الأدب العربي

إنّ الالتزام في العصر الجاهلي كان ذا منحى قبليّ، و إذا كانت القبليّة هي المحور يدور الالتزام حول الاعتزاز بأمجادها و تأييدها و التعصب لها، فكان الشاعر هو «الناطق باسم قبيلته و المدافع عنها و النّاصح لها و الموجِّه لأبنائها، و الدّاعي إلى الحرب والسّلم و التّحالف، و المؤرّخ لوقائعها و المتغنيّ بانتصاراتها، و المدبّر لشؤونها عند الملوك و الممثل لها في الاجتماعات و الاحتفالات و المواسم»[3].

١ـ ناصر بن عبدالرحمن بن ناصر، الخنين : الالتزام الإسلامي في الشعر، مكتبة الرشد، رياض، السعودية، ٢٠٠٤ م، ص ٢٥.

٢ـ جبور، عبدالنور : المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩ م، ص ٣١.

٣ـ أحمد، أبو حاقة : الالتزام في الشعر العربي، ص٦٤.

أهمّ ما في ديوان النّابغة الذّبياني من كبار الشّعراء الجاهليّين هو الشّعر القبليّ. فهو كان سفير قبيلته لدي الغساسنة و المناذرة. فقد ترك المناذرة و انصرف إلى مديح الغساسنة لا عن تكسّب شخصيّ بل لإطلاق أسرى قومه؛ فهو يقول في قصيدة يصوّر شجاعة الغساسنة و كرمهم و ترفهم :

إذا ما غدا بالجيش حلَّقَ فوقَهم عصائــب طير تهتدي بعصائب

جوانــح قَـد أيقـنَّ أنَّ قبيــلـه إذا ما التقى الجمعان أوّل غالب[1]

فهو جعل الطّير تعلم الغالب من المغلوب قبل التقاء الجمعين، و الطير قد تتبع العساكر و لكنّها لا تعلم أيّتها تغلب.

إنّ العصر الجاهلي «قد عرف عدداً من الشّعراء الّذين التزموا الدّعوة إلى السّلام، و ساءهم أن تسفك الدّماء في الحروب فتجرّ الويلات على المحاربين الّذين لم يكونوا يسقطون من حسابهم قضيّة الثأر و واجب القيام به»[2].

إنّ زهيراً بن أبي سلمى هو الّذي يتحدّث في شعره عن حروب «داحس» و «الغبراء»، و يشيد بهرم بن سنان و الحارث بن عوف اللّذَيْنِ حقنا دماء «عبس» و «ذبيان» بعد أن طالت الحروب بينهما، ففي معلقته الّتي يبدأها بهذا البيت :

أمن أمّ أوفى دمنةٌ لـم تكلّــمِ بِحـومانةِ الدّراجِ فالـمُـتَثَلّــمِ

يقول :

تداركتما عبسا و ذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم[3]

١ـ أبو محمّد، إبن قتيبة : الشعر و الشعراء، الجزء الأوّل، دار الثقافة، بيروت، ص١٠٣.

٢ـ أحمد، أبو حاقة : الالتزام في الشعر العربي، ص٦٥.

٣ـ أبو عبدالله، الزّوزني : شرح المعلقات السبع، عالم الكتب، بيروت، ٢٠٠٢م، صص٧٧-٦٦.

أ في منازل الحبيبة المكنّاة بأمّ أوفى في هذين الموضعين دمنةٌ لا تجيبني و لا تتحدّث معي، ثمّ يتابع قوله مُشيراً بهرم بن سنان و الحارث بن عوف و يقول: تلافيتما أمر هاتين القبيلتين بعد ما أفنَى القتال رجالهما و بعد دقّهم عطر هذه المرأة (منشم)، لدفن موتاهم.

ثمَّ ظهر الإسلام في مطلع القرن السابع الميلادي و اتّخذ موقفاً من الشّعر و الشّعراء يتجلّى في هذه الآية من قوله تعالى :

﴿ و الشُّعَراءُ يتّبعهم الغاوون * ألم تر أنّهم في كلّ وادٍ يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون * إلاّ الّذين آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالحاتِ وَ ذَكَرُوا اللهَ كثيراً ... ﴾[1].

يعبّر سبحانه و تعالى عن الشّعراء بأنّ الضّالّين عن السنّة يسلكون مسلكهم، ألم تر أنّهم في كلّ لغو يخوضون و لا يتّبعون الحقّ، و أنّهم لكاذبُون في أكثر قولهم .

«تقوم الدّعوة الإسلاميّة على الالتزام بكلّ ما في الكلمة من معنى، منطلقة من الإيمان الصّادق و الاقتناع العقليّ و القلبيّ و حرية الاختيار، و ترجمة ذلك كلّه عملاً غايته نشر الإسلام و التّمكّن له في الأرض»[2]. إنّ حسّاناً بن ثابت (٥٩٠-٦٧٤م) من كبار الشّعراء الّذين استخدموا شعرهم كسلاح للدّفاع عن النبيّ و دينه، «و بحق سميّ حسّان شاعر الإسلام و رسوله الكريم، فقد عاش يناضل عنه أعداءه من قريش و اليهود و مشركي العرب رامياً لهم جميعاً بسهام مصمية»[3]. كان ينافح حسان عن النبيّ ويناصره ويرثي الّذين سقطوا من المسلمين في سبيل الله شهداء، فهو يقول في قصيدة يرثي أهل مؤته :

١ـ الشعراء/ ٢٢٤.

٢ـ أحمد، أبو حاقة : الالتزام في الشعر العربي، ص٧٠.

٣ـ شوقي، ضيف : العصر الإسلامي، دارالمعارف، مصر، د.ت، ص٧٩.